

بركات الهجرة النبوية



مباحث الموضوع

تصدير:

قال تعالى: «وَمَنْ هَاجَرَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْعَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا»^(١).

الهدف:

بيان الروح الفدائية للإمام علي عليه السلام وتقديمه كقدوة، وبيان حقيقة الهجرة وقيمتها، والإفانث إلى ضرورة الهجرة المعنوية.

(١) سورة النساء، الآية: ١٠٠.

مقدمة

ليلة هجرة النبي ﷺ

أهمية الهجرة

آثار وبركات الهجرة النبوية

الهجرة سنة الأنبياء

مقدمة:

علي عليه السلام أصدق من عبر عن سيرة الرسول وسنته ﷺ:

إن مقام الإمام علي عليه السلام من رسول الله ﷺ غير خفي على كل من له اطلاع على سيرة رسول الله ﷺ كما أنه غير خاف أيضا شدة ملازمة الإمام علي عليه السلام لرسول الله ﷺ فهو ربيبه، وحافظ سره، وأقرب الناس إليه، حيث يقول الإمام علي عليه السلام عن هذه المنزلة:

«وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ، وَالْمَنْزِلَةِ الْخَصِيصَةِ»^(١). ثم يضيف موضعاً شدة عناية رسول الله ﷺ بتربية وصيه علي عليه السلام: «وَضَعَنِي فِي حَجْرِهِ وَأَنَا وَلَدٌ، يَضُمُّنِي إِلَى صَدْرِهِ، وَيَكْنُفُنِي إِلَى فَرَاشِهِ... وَكَانَ يَمْضُغُ الشَّيْءَ ثُمَّ يَلْقَمُنِي»^(٢).

ولا غرو أن يكون علي عليه السلام أصدق من عبر عن سنة رسول الله ﷺ وسيرته لأنه كما قال علي عليه السلام: «مَا وَجَدَ لِي كَذِبَةً فِي قَوْلٍ، وَلَا خَطْلَةً فِي فِعْلٍ»^(٣).

وسلوك علي عليه السلام كان أصدق معبر عن سيرة رسول الله ﷺ

لأنه بحسب تعبيره ﷺ: «وَلَقَدْ كُنْتُ اتَّبِعُهُ اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرُ أُمِّهِ، فَيَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلَاقِهِ عِلْماً، وَيَأْمُرُنِي بِالْإِقْتِدَاءِ بِهِ»^(٤).

ليلة هجرة النبي ﷺ:

من أكثر الليالي أهمية في حياة النبي الأعظم محمد ﷺ ليلة هجرته ﷺ من مكة إلى المدينة، وكان رسول الله ﷺ قد مهد لها بالاتصال مع أهل يثرب ثم ببيعته؛ وبعد بيعة العقبة الثانية اجتمع مشركو مكة في دار الندوة واتخذوا قرارهم الخطير الذي يقضي بقتل رسول الله ﷺ، ولأجل ذلك سددوا المنافذ الأساسية للخروج من مكة، وحددوا ساعة عيئوها للهجوم على بيت رسول الله ﷺ ليقتلوه وهو نائم في فراشه؛ فجاء الأمر الإلهي إلى الرسول ﷺ بأن يخرج مهاجراً في الليلة تلك - أي ليلة الأول من ربيع الأول السنة الثالثة عشرة للمبعث -.

وأمره تعالى بأن يجعل علياً عليه السلام ينাম في فراشه لتمويه الأمر على من أكلت إليهم قریش مهمة مراقبة منزل النبي ﷺ لا سيما فراشه، فأمر الرسول ﷺ ربيبه علياً عليه السلام بذلك وكان من علي عليه السلام ما يؤمل، فالتزم أمر الله ﷻ وأمر رسوله، ونام في فراشه طائعا مسلما، بل كان مسرورا متعبطا طالما أن النتيجة ستكون نجات رسول الله ﷺ

ولن يبالى حينها بالموت.

فاشتهب الأمر على قریش وظن رجالها الموكول إليهم مهمة المراقبة فالحجوم، أنه ﷺ لا زال نائما في فراشه وكان ذلك الوقت الذي كسبه رسول الله ﷺ بسبب هذا الاشتباه كافيا ليعتد عن مكة إلى ما من ترعاه فيه العناية الإلهية.

هذه الليلة يُسميها أصحاب السير والمفسرون للقرآن الكريم «ليلة المبيت» لأن علياً عليه السلام فدى رسول الله ﷺ بمبيته في فراشه.

وعنها يتحدث الإمام علي عليه السلام قائلا: «دعاني رسول الله ﷺ فقال: «إِنْ قَرِيشًا دَبَّرَتْ كَيْتَ وَكَيْتَ فِي قَتْلِي، فَنَمَ عَلَى فَرَاشِي حَتَّى أُخْرِجَ أَنَا مِنْ مَكَّةَ، فَقَدْ أَمَرَنِي اللَّهُ بِذَلِكَ، فَقُلْتُ لَهُ: «السمع والطاعة، فَنَمْتُ عَلَى فَرَاشِهِ، وَفَتَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْبَابَ وَخَرَجَ عَلَيْهِمْ وَهُمْ جَمِيعٌ جُلُوسٌ يَنْتَظِرُونَ الْفَجْرَ، وَهُوَ يَقُولُ: «وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَكَنًا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ» فلما طلع الفجر تَوَاشَوْا إِلَى الدَّارِ وَهُمْ يَظُنُّونَ إِنِّي مُحَمَّدٌ ﷺ فَوَثِبَتْ فِي وَجُوهِهِمْ وَصَحَّتْ بِهِمْ، فَقَالُوا: عَلِيٌّ؟ قُلْتُ: نَعَمْ قَالُوا: وَأَيْنَ مُحَمَّدٌ؟ قُلْتُ: خَرَجَ مِنْ بَلَدِكُمْ، قَالُوا: إِلَى أَيْنَ خَرَجَ؟ قُلْتُ: اللَّهُ أَعْلَمُ، فَتَرَكُونِي وَخَرَجُوا...»^(٥).

(٥) بحار الأنوار، ج ١٩، ص ٧٢.

(٤) المصدر السابق.

(١) نهج البلاغة، الخطبة القفاصة.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

وقد قال بعض علماء التفسير أن قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ (١). نزلت في مبيت الإمام علي عليه السلام في فراش رسول الله صلى الله عليه وآله ليلة الهجرة من مكة إلى المدينة.

أهمية الهجرة

إن الهجرة سنة كونية لا يمارسها الإنسان فقط بل حتى الطيور والحيوانات. فحين تتعرض الحياة في مكان ما لخطر تكون الهجرة إلى حيث الأمان هي الحل الطبيعي المفروز في الأحياء. والإنسان ذلك الموجود العاقل ترشده السنن الكونية، والسيرة العقلانية إلى هجران الأمكنة ولو كانت محل الولادة والترعرع والنشأة إلى الأماكن التي يتوفر فيها الأمن والرزق وغير ذلك من الأمور.

وقبل الحديث عن بركات هجرة النبي صلى الله عليه وآله وأهدافها، لا بد من الإشارة إلى عظمة هذا التدبير الإلهي وقيمته التي لا شك أن فيها أسراراً ما زالت بحاجة إلى بحث ليتيم كشفها وإمالة الحُجُب عنها، حيث إن الذي أمر بها هو الله تعالى والمأمور بها هو الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله مع إضافة هي أن يكون وسيلة ذلك تعريض سيد الأوصياء لخطر فتك المشركين به عندما أمر بواسطة الوحي وعبر الرسول صلى الله عليه وآله بالمبيت في فراش النبي صلى الله عليه وآله ففي ذلك كشف عن شدة العناية الإلهية بحصول الهجرة مع المهاجر منه مكة حيث بيت الله العتيق «الكعبة المشرفة»، وهذا الانطباع ثابت وجلي توحيه الحادثة حتى لو كان في علم الله عدم تمكين الله تعالى هؤلاء المشركين من أن يقتلوا علي عليه السلام.

آثار وبركات الهجرة النبوية :

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْعَاً كَثِيراً وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ

وَرَسُولِهِ ثُمَّ يَدْخُلِ الْمَوْتَ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾ (٢).

استناداً إلى هذه الآية وآيات أخرى يأمر الله تعالى المسلمين بالهجرة من المحيط حيث يعانون من المضايقات والاضطهاد والتضييق والحصار والنَّيْبِ إلى درجة القتل، ويعانون كذلك ظروفًا بالإجمال تضييق عليهم وتحد من قدرتهم على أداء واجباتهم وممارسة تكاليف دينهم، فالحياة المادية للمسلمين في معرض الخطر ولكن الأهم أن حياتهم المعنوية في معرض الخطر وأهدافهم المقدسة مهددة بالخطر، وهذه أثنى وأعلى من الحياة المادية، وعليه فإن للهجرة أهدافاً وبركات وأثاراً يمكن أن نذكر منها إضافة إلى حفظ الوجود المقدس للنبي الأعظم صلى الله عليه وآله ما يلي:

١ - الفرار إلى مكان تحفظ فيه أهداف الإسلام العليا وأهداف المسلم التي يعيش بها ولأجلها، حيث يتم اختيار مكان هو يثرب يحفظ فيه لهذا الدين ولهؤلاء المتدينين قدرة النمو على الصعيد المادي والمعنوي والفكري، حيث يخرج المؤمن والمسلم من حدود درء الأخطار، إلى بناء القدرات والقوى والنمو الفكري والروحي، وفي هذا وضع للمسلم أمام تحديات بناء الذات بكل أبعادها، وهذا ما يمكن استفادته من قول أمير المؤمنين عليه السلام «ويقول الرجل هاجر، ولم يهاجر، إنما المهاجرون الذين يهجرون السيئات ولم يأتوا بها» (٣). فالهجرة التي ظاهرها مكانية، حقيقتها وباطنها الجوانب المعنوية، وهي تضع المسلم أمام تحدي بناء النفس وعمارتها.

٢ - المأمول بانتقال المسلمين من مكان إلى آخر هو نقل المسلمين من حقبة إلى حقبة يبنون فيه كيان الجماعة المؤمنة المستقل، وبمعنى آخر بناء نواة الدولة الإسلامية،

بما يتيح لهذا الدين تقديم نماذجه الفردية والاجتماعية، ليجتذب النافذين إلى التطور والتحرر.

٣ - الهجرة حركة تحرر من الضغوط والقيود والظلم والاضطهاد إلى مكان يمتلك فيه المسلمون حرية الحركة والتخطيط والعمل، فالهجرة تكسر الحلقة الضيقة التي صنعها الأعداء، ليخنفوا الدين والمتدينين إلى حالة تسع معها آفاقهم، وتكبر فيها أحلامهم وطموحاتهم، بدل أن تستنزف هموم الأمن، والحياة الشخصية، والأمور الضيقة طاقاتهم وتكون غاية آمالهم وأحلامهم.

٤ - والهجرة فيها الكثير من الرمزية فأصل وجود الإسلام في الجزيرة العربية هو هجرة بمجتمع يفرق في ظلمات الجاهلية والشرك، إلى الحياة المليئة بالهدى والنور والعلم، وذلك مقدمة للهجرة بالبشرية كل البشرية من الضلال والانحراف والظلم، إلى الهدى والاستقامة والعدل، وبالعبرة القرآنية: «الَّذِينَ كَفَرُوا أَتَزَلَّهُمْ إِلَيْكَ لِنُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ» (٤).

الهجرة سنة الأنبياء

إن الله تعالى ينقل لنا في كتابه الكريم قصة موسى وهجرته، وكذلك هجرة إبراهيم عليه السلام، وقوله: ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٥).

فهجرة النبي محمد صلى الله عليه وآله بالمسلمين لم تكن أمراً جديداً في حركة النبوات وإنما الهجرة سنة الأنبياء من لدن إبراهيم إلى موسى، ففي ذلك أمثلة لنا وهي أنه عندما نعيش واقعاً ضاغظاً وأجواء مقفلة علينا أن نهجر ذلك الواقع وتلك الحال إلى الله تعالى.

والحمد لله رب العالمين

